المبحث اللغوي مبحث تداولي قبل التداولية، مقولة المظهر أنموذجا

أ.د. رجاء بنمفتاح

أستاذ مساعد لسانيات نظرية وتطبيقية في اللغة العربية

المعهد العالي للغات بنابل، تونس

البريد الإلكتروني: rajameftah@gmail.com

الاستلام	٢٠١٧\٧\١٥	المراجعة	٢٠١٧\٨\١٠	النشر	٢٠١٧\٨\٣٠

الملخص:

لقد ارتبط وجود النظريّة التداوليّة بظهور اللسانيات، إذ اهتمّت هذه النظريّة بخاصيّات الاستعمال للعلامات اللّغويّة أي بالجوانب النفسيّة للمتكلّم وللمتلقي وبالأنواع الاجتماعيّة للخطاب وبموضوع الخطاب، حيث ثبت أنّ اللغة ملكة عرفانيّة تدرس ضمن دائرة العرفان الموسّع لتجمع البيئي والثقافي والفيزيولوجي. هذا يعني أنّ التصوّر الذ|هني للانسان يمثّل الأساس لانشاء المعنى، دون أن يلغي ذلك المحيط الخارجي للانسان أو ما يعبّر عنه بفضاء الاستعمال أو المقام . ومن هذا المنطلق سندرج مداخلتنا إذ سندرس المظهر بما هو مقولة دلاليّة تداوليّة في التصوّر اللّساني الحديث وفي مدى امكانيّة دراسته دراسة تداوليّة من خلال المدوّنة النحويّة والأصوليّة العربيّة. فما هو المظهر في التصور اللساني وما هي أنواعه وستوياته؟ وما مدى إمكانيّة دراسته تداوليّا من خلال المدوّنة النحويّة العربيّة؟ وكيف تتجلى إضافة علماء أصول الفقه للمدوّنة النحويّة العربية انطلاقا من مقولة المظهر؟

الكلمات المفتاحية: التداولية، المظهر.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Arabic grammar is a pragmatics theory before the emergence of pragmatics, The statement of aspect as a model

Prof. Raja Meftah

Associate Professor of Linguistics

Nabeul Higher Institute of Languages

Email: rajameftah@gmail.com

Received	15/7/2017	Revised	10/8/2017	Published	31/8/2017

Abstract:

The existence of the theory of pragmatics has been linked to the emergence of linguistics. The theory emphasizes the characteristics of the use of linguistic sign; the psychological aspects of the speaker and the recipient, the social types of the discourse and the subject of the discourse. This means that the human perception of man represents the basis for the creation of meaning, without negating that outer perimeter of man or what is expressed in the space of use or place. From this point of view, we will review our intervention as we will examine the appearance of what is the aspect in the modern linguistical perception? And in the extent of the possibility of studying a pragmatics study through the grammatical code. What are the aspects in the linguistic perception and what types and levels? And how far can it be studied pragmaticals the Arabic grammatical code?

Key words: Pragmatics, The Aspect.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

مقدمة:

التّداوليّة في العرف اللّساني العربي ترجمة للمصطلح الفرنسي Pragmatique و في الانقليزيّة Pragmatics وهي نظريّة ارتبط وجودها بظهور اللسانيّات، وقد تميّز هذا التصوّر اللّساني باهتمامه بخاصيّات الاستعمال للعلامات اللغويّة أي بالجوانب النفسيّة للمتخاطبين motivation psychologiques des interlocuteurs وبالأنواع الاجتماعيّة للخطاب types socialisés de discours وبموضوع الخطاب objet du discours، فالتطابق بين حالة الأشياء في الكون ونوع الخطاب من استلزامات صدق القول أو كذبه في العرف المنطقي التداولي، هذا يعني أنّ مفهوم التّداوليّة مرتبط بالمقام أي دراسة استعمال المتكلّم القول لغرض التّخاطب.

وفي هذا الإطار سنحاول دراسة مدى وجود البعد التداولي في النحو العربي انطلاقا من مدوّنتي النحاة والأصوليين عموما وانطلاقا من مقولة المظهر، باعتبارها مقولة دلاليّة تتعيّن انطلاقا من المستوى التركيبي للجملة ومن السياق الذي وردت فيه.

لنثبت بذلك أن المدونة النحوية العربيّة اهتمت بالجانب التداولي للكلام، لا المدونة البلاغيّة فحسب، فقد أثبت الباحثون أن التداوليّة علم لا يخرج عن الإطار العام الذي وضعته البلاغة العربيّة لدراسة الدلالات، وذلك من خلال المعاني الذي يهتمّ بدراسة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وعلم المعاني بباب الخبر والإنشاء.

فما هو مفهوم المظهر؟

وما مدى إمكانيّة دراسته تداوليّا من خلال المدوّنة النحويّة العربيّة

وكيف تتجلى إضافة المبحث الأصولي للمدونة النحويّة العربيّة انطلاقا من مقولة المظهر؟

1- المظهر في التصور اللساني:

1-1- مفهوم المظهر:

عرّف كومري comrie المظهر بأنّه: " مختلف وجهات النظر للزمان الدّاخلي المحدّدة لوضعيّة ما "(كومي 1976ص 3)، فمقولة المظهر باعتبارها تجسيدا لخاصيّات تحقّق القضيّة، أي أنها مقولة تحيل على مختلف الأدوات التي تعبّر عن كيفيّة تحقّق الحدث. لذلك ارتبطت دراسة المسألة بدراسة الفعل باعتباره أهم وسيلة لغويّة تؤدّي معنى المظهر صيغيّا ومعجميّا ومن هذا المنطلق ميّز كومري بين الحدث التّام والحدث غير التام وبين الحدث النّقطي والحدث المددي وبين المحدود وغير المحدود.

وانتقدت سوزان روثن Susan Rothstein 2004 هذا التصنيف وتجاوزت هذا التعريف، واعتبرت أنّ مقولة المظهر تهتمّ "بالبنية الخاصّة بالحدث في ذاته أي بكيفيّة تحقّق الحدث في ذاته" (سوزان روثن 2004 ص 35)، فالمظهر مقولة دلاليّة في تصوّر سوزان روثن يعبّر عنها بالأفعال في سياقات تركيبيّة مختلفة منها الأفعال المنجزة والأفعال غير المنجزة والأفعال الدالة على النشاط والأفعال الدالّة على الحركة. وهو تعريف لا يختلف كثيرا في جوهره عن تصوّر كومري ومارك ولمت، وهو ما انتبهت له الدّراسات اللّسانيّة المتأخّرة، فقد نفى رنات دكلارك هذا التعريف ليؤكّد أنّ " المظهر في حقيقته ليس سؤالا عن كيفيّة وصف الفعل لنوع وضعيّة ما، ولكنّه سؤال عن كيفيّة تقديم قول أو لفظ a clause للوضعيّة المتحقّقة" (رنات دكلارك 2006 ص 30).هذا التعريف للمظهر يوحي ببعده التداولي، إذ تتنوّع دوالّه فلم يعد مقولة فعليّة أو حدثيّة فحسب، بل هو مقولة تتناول كيفيّة تحقّق الحدث وكيفيّة تعبير المتكلّم عن ذلك التّموضع للبنية الحدثيّة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

2-1- مستويات القيم المظهريّة عند مارك ولمت:

انطلق الدرس اللساني الغربي في دراسته للدلالات المظهرية من التعبيرات المظهرية أي من الأشكال التعبيرية الدالة على المظهر ومن هدا المنطلق قسم مارك ولمت Marc Willmet القيم المظهرية إلى مستوى نحوي Aspect grammatical ومستوى دلالي Aspect sémantique ومستوى معجمي Aspect lexical.

أما المستوى الأول فقد صنف مارك ولمت على أساسه المعاني المظهرية في اللغة الفرنسية الى:

- معان مظهرية قابلة للاتساع Aspect extensif حيث نجد مشيرات دلالية تتكون من فعل مساعد avoir /être + اسم مفعول participe passé مثل أقدم على venir de ، أخرج من sortir de + مصدرinfinitif .
- معان مظهرية تصورية Aspect perspectif مثل : دهب الى aller ، انتظر ان attendre de، نصح ب conseiller de + مصدر infinitif.
- معان مظهرية طارئة أو عرضية Aspect incident انتهى من achever de، بدأ في commencer a + مصدر infinitif.

فالتعبيرات المظهرية النحوية في تصور مارك ولمت تختلف حسب البنى الصيغية أو حسب درجة الامتداد المعجمي أو حسب الارتباط مع الأفعال المساعدة، إضافة إلى الظروف الزمانيّة ممكنة الاستعمال.

وأما المستوى الثاني فينقسم بدوره إلى مستويين: مستوى يخص الأفعال وآخر يخص الأسماء باعتبارها وحدات معنوية تنتج معاني مظهرية متنوعة يصعب تحديدها في قائمة مغلقة وذلك نحو:

- نهاية الأشغال: انتهاء الحدث.
- ابتداء دورة الألعاب الرياضيّة: بداية الحدث.
- أعلن المسؤول استمراريّة الأوضاع: استمرار الحدث وتواصله.

أما المستوى المظهري الفعلي، فينتج قائمة مغلقة من المعاني المظهرية يمكن اختزالها في اربعة أنواع: - معان مظهرية ثابتة، مثل:

- مات زيد.
- نام عمرو.
- اطمان زيد.

فالحدث في هذه الأمثلة لا يحتمل بالضرورة وجود تطوّر في البنية الحدثية بين البداية والنّهاية وذلك عكس النوع الثاني من الأفعال.

- معان مظهريّة تامة: تتجسّد دلاليا في الأفعال الدال|ة على احداث مقيّدة بمدّة زمانيّة محدّدة، فهي تعيّن بداية الحدث ومدّته ونهايته، اذ يسهل في هذا النوع استعمال التعبيرات أي العناصر الإشاريّة المحدّدة للقيم المظهريّة المستمرّة، مثال:

- خرج زيد من القسم في ثلاث دقائق.
- دخل عمرو القاعة في خمس دقائق.

فهذان المثالان يقتضيان تحقّق وضعيّة أو حدث خروج زيد ودخول عمرو.

- معان مظهرية غير تامة: وهي أفعال تحيل على أحداث غير منقضية، أي أحداث مستمرّة التحقّق، فهي أفعال لا تستلزم الاهتمام بلحظة انتهاء الحدث، نحو قولك:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

- قد نزل الرجل إلى الساقية.

ففعل " نزل " في هذا السّياق يستلزم: - بدأ الرّجل عمليّة النزول.

- الرجل مازال في وضعيّة نزول لحظة التلفظ بالقول.
- معان مظهريّة نقطيّة: نعني الأفعال التي تحيل على الأحداث التي تكاد تكون نقطيّة، فالفعل يحمل في ذاته إعلانا عن بداية الحدث وعن نهايته، وذلك نحو: انفجر exploser و تفرقع éclater.

3-1- المظهر دلالة سياقيّة في التصور اللساني:

تنوّعت الدّلالات المظهريّة في المصنّفات اللسانيّة الغربيّة دون أن يكون الاختلاف بين هذه الدّراسات في ماهية هذا التنوّع، لكن الاختلاف يبرز بوضوح عند دراستهم لدوالّ المظهر إذ صنفت كارولا سميث هذه الدوال إلى صنفين أي مستويين أوّلهما المستوى المعجمي وهو ما يمكن الاصطلاح عنه بالمظهر الموضع situation aspect وهو مظهر يهتمّ بوضعيّة الأحداث الناتجة عن معجمة الألفاظ وإضافة بعض الموجّهات التصريفيّة لها وثانيهما المستوى الشكلي أو ما عبّرت عنه الباحثة بالمظهر الموجّه View point aspect وهو مظهر نحويّ يميّز بين دلالة الفعل على مستوى الصّيغة ودلالته على مستوى المادّة من ناحية أولى، ويميّز بين دلالة الفعل باعتباره وحدة معجميّة مستقلّة ودلالته داخل سياق مقالي معيّن.

إذن يبرز هذا التصنيف الثنائي للقيم المظهريّة البعد السياقي لدلالة المظهر فهو لا يختزل في علامات لغويّة معجميّة معيّنة، بل يتعيّن باعتماد السّياق الذي ترد فيه تلك العلامات. وقد تدعّمت أهميّة السياق في السنوات الأخيرة مع كل من دلفين دانس Delphine denis وآن سونسي شاتو Anne Sancier chateau، حيث تمّ إعطاء أهميّة للسياق بصفة عامة وللمقام بصفة خاصة.

فقد صنّفا المظهر إلى أربعة مستويات هي:

المستوى المعجمي ويشمل الفعل وكل مكوّناته من مادّة وصيغة، إضافة إلى متعلّقاته من لواصق بعديّة وقبليّة.

والمستوى النحوى الذي يشمل كلّ أنماط التركيب داخل الجملة وكلّ أنواع الوحدات المعنويّة في اللغة الفرنسيّة.

هذا، إلى جانب السياق المقالي والسياق المقامي ويتجسّد هذا الأخير في جملة الدّلالات المتولّدة عن كلّ ربط بين الجانب اللّغوي النحوي والمعجمي والمقام الذي أنتج فيه المتكلّم عمله القوليّ.

2- المظهر عند النحاة:

2-1- مفهوم المظهر عند النحاة:

حضر مفهوم "المظهر" عند النحاة منذ القرن الثاني للهجرة، فقد صنّف سيبويه صيغ الأفعال، إلى صيغ دالّة على الانقضاء وأخرى دالّة على عدم الانقضاء (الكتاب ج1ص2)، وقد حضرت أيضا مفاهيم مثل: المنقطع وغير المنقطع والمتّصل (الكتاب م3 ص17) وتواصل حضور المفهوم المدروس في القرون اللاّحقة ولا أدلّ على ذلك من تعيين ابن يعيش لدلالات أفعال المقاربة بقوله: "كاد زيد يفعل أي قارب الفعل ولم يفعل" (شرح المفصّل ج2ص119).

إذن حضر مفهوم المظهر عند النحاة وارتبط بالفعل، فهو ما دلّ على هيئة تحقّق الفعل، أي قرب تحقّقه أو بعه وتحقّقه على سبيل التقطّع أو الاستمرار .... لذلك عرّف الزجاجي الفعل بأنّه" عبارة عن حركات الفاعلين وليست في الحقيقة أفعالا للفاعلين، إنّما عبارة عن أفعالهم وأفعال المعبرين عن تلك الأفعال" (الزجاجي 1973ص53)، فالفعل في عرف النحاة نوع من الكلم يدلّ على حركات الفاعلين أي على مظهر حركة المسمى وهيئته.

2-2- مستويات القيم المظهرية عند النحاة:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

- **على مستوى التصريف:** قسّم النحاة صيغ الأفعال إلى بنية دلاليّة ثنائيّة، تتمثّل في المنقضي وغير المنقضي. فالأفعال عند سيبويه، " أشكال مأخوذة من التّعبيرات المجسّدة لأعمال الإنسان، التي تتوزّع إلى أعمال مضت وانتهت وأعمال بصدد الوقوع وأخرى لم تقع بعد"(فرستيخ 1981 ص49). تحيل صيغة "فعل" على الحدث المتحقّق والمنتهي، في حين تحيل صيغة "يفعل" على كلّ حدث غير تام أي عل الأحداث مستمرّة الوقوع لحظة التلفّظ بالقول مثلما تدلّ على الحدث الممكن وقوعه حسب السياق التي ترد فيه.

هذا يعني، أنّ النحو العربي منذ القرن الثاني للهجرة لم يلزم الدّارس بأن يقرن صيغ الفعل بالدّلالة الزمانيّة في أبعادها الثلاثة، بل إنّه أوجد نوعا من الارتباط الوثيق بين نوع أعمال الأشخاص في العالم الفيزيائي والصّيغ الفعليّة المعبّرة عن كلّ نوع منها.

إذن فالمبحث اللّغوي الحديث، سواء عند العرب نحو توامة والسامرّائي أو المستشرقين نحو رايت، لم يأت بالجديد، مثلما أوهمنا عندما حاول تأكيد أنّ " للفعل العربي صيغتين اثنتين فقط. تعبّر إحداهما عن حدث تمّوكمل من حيث صلته بغيره من الأعمال وأخرى تعبّر عن حدث لم يتمّ حيث ابتدئ به واتّصل إحداثه ولم ينته بعد" (المخزومي 1964 ص145)، فالفعل يدلّ بهيئته على تمام الحدث أو على عدم تمامه منذ سيبويه.

- **على مستوى الاشتقاق:** تحمل بعض المشتقّات في العربيّة قيما مظهريّة، فهي تدلّ على كيفيّة وقوع الحدث وتحقّقه، وذلك نحو: المصدر الذي يدلّ على انقضاء الحدث، ويمكننا الاستدلال على ذلك منطقيّا واجرائيّا. أمّا البرهان المنطقي فيتجسّد في دلالة المصدر على حدث غير مقترن بزمان، فهو يحيل على مسمى، وبالتّالي على شيء حادث أي تمّ وانقضى، لذلك تقول أميرة غنيم: " الثّابت في المصدر دلالته على الانقضاء لأنّه تسمية للحدث والحدث لا يسمّى إلا إذا وجد" (غنيم أميرة، 2004 ص201).

وأمّا إجرائيّا فنعني به، البرهنة على معنى الانقضاء في المصادر، انطلاقا من بعض الاستعمالات، أي استعمال المصدر عند سردنا بعض الوقائع التاريخيّة، كأن يقول أحدهم: "مقتل عمر بن الخطاب على يدي لؤلؤة، ولكن مقتل علي ابن أبي طالب هو الذي تمّ على يدي عبد الرحمان بن ملجم الخارجي" نجد المصدر في الجملتين مرتبطا بالزمان نفس الارتباط الذي نلحظه حين نضع مكانه الفعل قتل.

ونفس الأمر يصدق على صيغ أسماء الفاعل، فهذه الصيغ تدلّ على عدم انقضاء الحدث،"فالعرب توظّف غير التام في ذات التركيب الذي توظف فيه اسم الفاعل، وذلك نحو:

- زيد يضرب عمرو.
- زيد ضارب عمرو[1].

أما الصفات المشبهة، فإنّها لا تنفكّ في بعض أوجهها تدلّ على: التكرار نحو مفعال، كقولك: رجل مهذار وفلان مضياف، وقد تدلّ الصّفات المشبهة في بعض استعمالاتها أيضا على مظهر الدوام والاستمرار، نحو:- زيد جميل الصفات.

- **على مستوى الإعراب:** قد يحمل الحال، بما هو وظيفة إعرابيّة، بعض الدلالات المظهريّة وذلك نحو ما أورد صاحب الكتاب:

- هو يدخل وهو يضرب.

- سرت فإذا أنا في حال دخول.

[1] لمزيد التوسّع انظر فرستيخ 1981 ص51.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

فالدّخول، في المثال الأوّل لم ينته، فهو مستمر أثناء عمليّة الضرب.

أما في المثال الثاني فإنّ المتكلّم يخبرنا أنّ الدخول متّصل بالسّير.

- **على مستوى المعجم:** إن المتأمّل في أقسام الكلم، من أفعال وأسماء وحروف وظروف وأدوات، يلاحظ أنّ الدلالة المظهريّة منتشرة في مختلف غياهب هذه التعابير. فالأفعال مثلا منها ما يدلّ على المظهر النقطي أو المددي، نحو: - لمح الواقعة، تأمّل الواقعة. مات زيد، نام عمرو.

وقد نستفيد منها معجميّا، الدّلالة على التّكرار أو الإفراد، نحو: تخرّج زيد ، تعذّب زيد. فالتخرّج لا يكون إلاّ مرّة واحدة بينما فعل "عذّب" يحتمل التحقّق على سبيل التكرار لا الإفراد.

ومثلما تحتمل الأفعال الدلالة المظهريّة معجميّا، كذلك الأسماء والظروف والأدوات والنواسخ وغيرها من الوحدات المعجميّة، ونعني بالأسماء أساسا الصفات المشبهة وصيغ التفضيل التي تدلّ التكثير، أي على أن الحدث وقع على سبيل التكرار، نحو: هو الخلاّق الرزّاق[2].

- **على مستوى السّياق:** وهو المستوى الأهم، إذ تدلّ بعض التراكيب، بواسطة حروف من مثل "حتى" و "فاء" على بعض القيم المظهريّة. فقد فرّق سيبويه بين المظهر المنقطع والمظهر المتّصل من خلال توظيف هذه الحروف، نحو قولنا: "سرت حتى أدخلها" تعني أنّه كان دخول متّصل بالسّير كاتّصاله بالفاء إذا قلت: سرت فإذا أنا في حال دخول فالدّخول متّصل بالسّير كاتّصاله بالفاء" (سيبويه، الكتاب م3 ص 17).

ومن هنا نقرّ البعد التداولي السياقي للدلالة المظهريّة فهو لا يختص بوحدة معجميّة معيّنة ولا بتركيب معيّن في الدّرس النحوي العربي، فلا يمكن اعتبار الدلالة المظهريّة دلالة حرفيّة لفظيّة بل هي دلالة ترتبط بالسّياق المقامي والمقالي وتتنوع فيها التعبيرات وهو ما سيتأكّد لدينا أكثر من خلال الدّرس الأصولي.

2-3- المظهر عند اللغويين المحدثين:

سنختزل عملنا في هذا الجزء من بحثنا في تصوّر الأستاذ الشريف الذي يقول: "إنّ المجزوم وكذلك المرفوع والمنصوب والأمر والماضي، جميعها صيغ اشتقاقيّة، وليست صيغا تصريفيّة تصيب صيغة واحدة. وهي مختلفة منذ الاشتقاق بدلالاتها، لكونها تعبّر عن مقولات مختلفة نفترض أنّها مقولات حدوثيّة زمانيّة مظهريّة" (الشريف 2002 ج2 ص955).

هذا يعني أنّ لكلّ صيغة تخصّ فعل الأمر أو المضارع المنصوب المعلوم أو المجهول الفاعل، أو المضارع المجزوم المبني للمعلوم أو المبني للمجهول أيضا، أو المضارع المرفوع المعلوم أو المجهول، أو صيغة الماضي المبنيّة للفاعل المعلوم أو المجهول، أسّا مختلفا عن غيره من أسس بقيّة الصيغ الفعليّة، فقد أثبت الشريف أنّه "لا وجود لأسّ معجميّ مشترك بين هذه الجداول التصريفيّة، ومحدّد صوتميّا تحديدا مقطعيّا (الشريف 2008 ص357).

فالفعل يتكوّن من مجموعة من الصواتم، أي أنّه يتجزّأ إلى سلسلة من الحروف مفصولة بحركات، هذه الصواتم والحركات تتعالق فيما بينها لتؤسّس إلى جملة من الدّلالات تمثّل أدوارا دلاليّة مكوّنة للفعل، يهمّنا من هذه الأدوار، في هذا المجال، الدلالات المظهريّة.

يذهب الشريف إلى تضافر جملة من البنى الدلاليّة الصغرى أو الفرعيّة لتكوّن الفعل باعتباره وحدة معجميّة مستقلّة ومتميّزة عن غيرها من أنواع الكلم لذلك يقول الشريف: "الفعل لا يوزّع الأدوار، ولا ينتقي السمات الدلاليّة والمقوليّة، بل يتكوّن بها، فهي سمات تكوينيّة (الشريف 2008 ص 368).

[2] لمزيد التوسع انظر رجاء بنمفتاح الزمان والجهة والمظهر بين النحاة والأصوليين مقاربة لسانيّة.ص266.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ومن بين هذه المكوّنات نجد الدّلالات المظهريّة التي تختلف في مستوييها: الشكلي والدلالي من صيغة إلى أخرى. فقد لاحظ الدّارس اختلاف صيغ الفعل فيما بينها إذ تختصّ صيغة الماضي "ف-ع- ل" بالدّلالة على الحدث المنقضي، وكذلك صيغة الأمر"اع – ع – ل (0،ي، ا ،و)" والمضارع المجزوم "(أ ، ن، ت ، ي)ـ ف 0 ع ـ ل ا، ن، و)"، وفي المقابل يشترك المضارع المنصوب "(أ، ن، ت ، ي)ـف 0 ع ـ ل (ـ ا، ـو، ن) والمضارع المرفوع "(أ، ن، ت، ي)ـ ف 0 ع ـ ل (ـ ، ين، ان، ون، ن)" في الدّلالة على الحدث غير المنقضي أي الحدث الذي يستمرّ وقوعه لحظة التلفّظ.

هذا يعني أنّ افعل يدلّ مظهريّا على انقضاء الحدث أو عدم انقضائه، وهو تصوّر لا يختلف كثيرا عمّا تواضع عليه النحاة، ولكنّ إضافة الشريف تتمثّل في تفكيكه لمختلف الصيغ الفعليّة الدالّة على الانقضاء أو على عدمه، إلى مكوّناتها الجزئيّة، باحثا في أثناء ذلك على المكوّن الجزئي الحامل للدلالة المظهريّة داخل الفعل.

ومن هذا المنطلق نلمس نفيا مطلقا لارتباط صيغ الأفعال بالدلالة الزمانيّة عند الدارسين المحدثين، وارتباطها سياقيّا بالدّلالة المظهريّة.

3- المظهر عند الأصوليين:

1-3 – مفهوم المظهر في التصوّر الأصولي:

درس الأصوليّون الدّلالات المظهريّة في إطار بحثهم في الأحكام التي تحيل عليها صيغ الأمر، إذ يرى البيضاوي مثلا أن الأمر فيه إحالة على معنى الفور والإسراع، في حين يرى ابن حزم أن الأمر يحيل على الحدث الواقع على سبيل التراخي. هذا يعني أنّ مقولة لمظهر عند الأصوليين شأنها عند النحاة تحيل على كيفيّة تحقّق الحدث، فمن الأحداث ما هو منقطع ومنها ماهو متتابع، ومنها التام وغير التام.....وهو ما سنفصّل فيه القول في العنصر اللاحق؟

2-3- أهمّ الدّلالات المظهريّة في التصوّر الأصولي:

سندرس هذه الدلالات في شكل ثنائيّات، ومن أهمّها:

- **الفور والتراخي:**

- **الفور**: عند الأصوليين "مصدر يعبّر به عن أوّل الوقت، فيقال: أتيت من فوري ورجعت من فوري، وفعلت ذلك من فوري، وفورا وفور وصولي، أي في الوقت نفسه أو في أوّل الوقت" (ابن حزم 1987 ص50). هذا يعني أنّ الفور مصطلح يستعمل للتعبير عن نوع معيّن من الزمان الدّاخلي، هو الزمان القريب جدا من زمان الحالة أو الوضعيّة التي يعيشها المتكلّم، لذلك يستشهد الأسدي بقوله تعال: "ويأتوكم من فورهم ..." (آل عمران 125) ويقدّم تفسيرا لهذه الآية يدعم ما ذهبنا إليه سابقا، فالمتكلّم يقصد "من وقتهم أو ساعتهم" (السابق نفسه).

ومن هذا المنطلق يمكننا الجزم بأنّ "الفور" في العرف الأصولي لم يعد مجرّد تعبير لغوي يعبّر به المتكلّم عن العجلة والسرعة إلى مصطلح لغوي يعبّر عن مستوى معيّن من مستويات الزّمان الدّاخلي، بهذا نرى الدرس الأصولي يطرح مسألة إمكانيّة وقوع الحدث في شكل فوري، أي في زمان قريب من النقطة المرجع، وهي لحظة التلفظ بالقول في إطار بحثهم في دلالة صيغة الأمر "افعل" على مظهر السرعة أو التأني والتراخي في تحقق جهة الوجوب. وهنا يمكننا التمييز بين المظهر التصوري والمظهر المنجز. أي بين المظهر المتصور في ذهن المتكلّم أو السامع والمظهر المتحقّق في الكون، وهنا يكون السؤال، ألا يمكن للفور أن يكون دلالة ذهنيّة تصوريّة للأمر؟ بمعنى ألا يمكن للأمر في مختلف أشكاله التّعبيريّة أن يدلّ على وجوب الاعتقاد في الاستجابة لمحتوى الطلب إبّان تلقّي الخطاب مباشرة، دون أن يعني ذلك وجوب إنجاز المتقبّل للمطلوب فورا، والدّليل على ذلك تقييد بعض الفروض بمساحات زمانيّة معيّنة، نحو: وجوب أداء صلاة الظهر أو العصر في مدد معيّنة. والدّليل على ذلك أيضا وعد الخالق لعبده، بنيل الثواب على اعتقاده أداء

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

فريضة الصلاة بصفة عامّة أو صلاة الجماعة بصفة خاصّة إذا توفّرت النيّة لهذا العبد دون أن يتمكن من إنجاز ما عزم القيام به، أن يتوفاه الأجل مثلا.

- **التّراخي:** لقد انتهى التعريف اللّغوي والمصطلحي إلى أنّ "التراخي" و"الفور" يعتبران من الأضداد في العرف اللّغوي والأصولي، وفي ذلك إقرار ضمنيّ بأنّ مصطلح "التراخي"، يعبّر عن دلالة مظهريّة تقابليّة لمصطلح "الفور" فالتراخي بعد مظهري مقابل للفور بما هو تعبير عن القرب والسرعة الزمانيّة. وأكثر من ذلك ارتبط التعريف المصطلحي لمفهوم "التراخي" بمفهوم "الزمان" في شكل أو في مظهر معيّن، هو الزمان الممتد، أي الذي يقتضي فضاء أو مساحة زمانيّة. لذلك عندما يقال لك إنّ في الأمر تراخيا، أي: امتدّ زمانه وفي الأمر تراخي، أي فيه فسحة وامتدادا. فالتراخي مثله مثل "الفور يحيل على البنية الدّاخليّة للزمان بما هو فضاء أو مساحة في شكل أو في مظهر الامتداد.

- **التام والمستمر:** اهتمّ التفتازاني (ت 1316 ه) بهذه الثنائيّة الدّلاليّة في حاشيته على شرح المنتهى، فقد فرّق بين التام والمستمر من خلال شرحه لمفهوم "المعنى الباقي" عند الأصوليين، فهو المستمر وغير المنقضي أي الذي لم ينته بعد من الوقوع لحظة التلفّظ بالقول، لذلك يصدق القول على المتلفّظ بالقول بأنّه: مباشر لقوله أو لأخباره، إذ يقول صاحب الحاشية: "يعنون ببقاء المعنى عدم انقضائه بالكليّة حتى يقولون لمن هو مباشر للأخبار والكلام أنّه مخبر ومتكلّم حقيقة أنّ المعنى باق غير منقض وكذا المتحرّك مادّا متوسّطا بين المبدإ والمنتهى" (ابن الحاجب 1316 ص 175).

4- المظهر دلالة تداوليّة عند اللّغويين العرب قبل التّداوليّة:

4-1- الدلالات المظهريّة للأمر والنهي:

تدلّ صيغة "لا تفعل" في العرف الأصولي على المعاني المظهريّة التالية حسب السياق الذي ترد فيه: طلب الكفّ عن الشيء.

- تكرار الكفّ عن الشيء.
- الاستجابة الفوريّة لمضمون الطّلب.
- استمرار تكرّر الكفّ عن الشيء ودوامه.

قد يفيد النهي عدم الاستمرار في بعض سياقاته، إذ يتغيّر المعنى المظهري للنهي حسب القرائن المقترنة به، من ذلك مثلا أن النهي قد يفيد الدوام أو عدمه حسب نوع القرينة التي تصاحبه، مثال ذلك "نهي الحائض عن الصّلاة والصّوم، فقرينة الحيض تجعل النهي مؤقتا بمدّته لا دائما" (فراج حسين 1991 ص201).

ويمكن للقرينة أن تصرف النهي عن الفورية بما هو المعنى الحقيقي وذلك نحو قوله تعالى: "إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ الله أعلم بأيمانهنّ فإن علمتوهنّ مؤمنات فلا ترجعون إلى الكفّار لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ" (الممتحنة 10) أي إذا تحقّق شرط الامتحان والعلم بايمانهن تجوز الفوريّة أما قبل ذلك فلا يقتضي النهي الفوريّة لأنّه لا حكم فيه لعدم تحقق شرطه.

4-2- النظريّة السياقيّة عند الأصوليين:

من أهم مظاهر اهتمام الفكر الأصولي بالجانب السياقي في تحديده لبعض الدلالات تأكيد ابن حزم الظّاهري أهميّة القرائن الحاليّة أو السياقيّة، في إطار ردّه على بعض الفرق الكلاميّة أو بعض اليهود ممّن شكّكوا في بعض الآيات واتّهموا النص القرآني بالتّناقض كقوله تعالى من جهة أولى ".... وإن تصبهم حسنة يقولوا هذا من عند الله وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك ...." (النساء/78) وقوله عزّ وجلّ من جهة ثانية "ما أصابك من حسنة فمن عند الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك" (النساء/79)، فيردّ ابن حزم بأنّه يجب الرّجوع إلى أسباب نزول الآية فقد نزلت في إطار

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الردّ على من أرجع ما أصابه من سيئات إلى الرسول، فبيّن لهم إنّ الإنسان يجني ثمار أعماله وأقواله وكلّها تعود إلى قدرة الله.

لقد أكّد ابن حزم على ضرورة مراعاة "علم النفس" و"بديهيّات العقل" لتحديد المعاني لدلك يمكن القول بأنّ آراءه – أي ابن حزم – في سياق النظريّة الظّاهريّة قد تصلح حجر أساس في بناء نظريّة سياقيّة كاملة "ممّا يجعلنا نقرّ مطمئنين إنّ النظريّة السياقيّة العربيّة لا تختلف عن النظريّة الغربيّة إلاّ في البعدين الزّماني والمكاني" (بوقرّة نعمان 2004 ص 50).

ولئن قصد الأصوليّون بالسّياق المقامي، الظروف الاجتماعيّة والوظيفة التداوليّة للقول في حياة الإنسان، فقد قصد بالسياق المقالي القرائن السياقيّة التي تفيد معنى مجدّدا أو تقوّي معنى قديما، لذلك يقول الغزالي: "ما يعرف باستقراء اللغة وتصفّح وجوه الاستعمال أقوى ممّا يعرف بالنّقل الصّريح، ونحن كما عرفنا أنّ الأسد وضع لسبع والحمار وضع لبهيمة. وإنّ كلّ واحد منهما يستعمل في الشّجاع والبليد فيتميّز عندنا بتواتر استعمال الحقيقة من المجاز فكذلك يتميّز الأمر والنهي والتخيير تميّز صيغة الماضي والمستقبل والحال ...." (الغزالي 1322هـ ج1 ص425).

بل أكثر من ذلك سعى علماء أصول الفقه إلى الاستدلال على أهميّة السياق في تعيين الدّلالة المظهريّة باستدلالات منطقيّة وأخرى نقليّة استقرائيّة، إذ لا يمكننا الإقرار بأنّ في قوله تعالى "افعل" أو "أمرتك بكذا.." تعبير عن وجوب الفور أو التراخي إلا بوجود دليل عقليّ أو نقليّ يستدلّ من خلاله على أن تلك الصيغة وضعيّة، أي تمّ وضعها من قبل أهل اللغة أو المشرّع للتعبير عن الفور.

ومن الأدلّة النقليّة الاستقرائيّة على أهميّة السياق ما أكّده الجويني مثلا فيما يخصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد تغيّر الواقع وتبدّلت الظّروف التاريخيّة بين الفينة والأخرى وهو ما يستوجب إبطال كلّ حكم إلزامي يخصّ صيغة تعبيريّة معيّنة بدلالة الفور أو التراخي "بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيّره" فالمنكر الذي يرى غدا غير المنكر تالذي يرى اليوم ..... وكذلك القول في الأمر بالمعروف لأنّ المعروف الذي يأمر به غدا غير الذي أمر به اليوم" (الجويني، 1992 ص 329).

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

خلاصة البحث:

نلاحظ تميّز المبحث الأصولي، بتأكيده أهميّة السياق في تعيين الدلالات بصفة عامّة والدّلالة المظهريّة بصفة خاصّة إذ يحيل مصطلح المصطلح المدروس على كيفيّة تحقّق الحدث عند النحاة، فهو مقولة فعليّة بامتياز في نظرهم وهو ما أكّده المحدثون أمثال الشريف فاعتبر المظهر مقولة دلاليّة تجسّد أحد الأسس المكوّنة لفعليّة الفعل. بينما تعتبر مقولة المظهر في التصوّر الأصولي أكثر اتّساعا، فالمظهر مقولة دلالاليّة تحيل على كيفيّة تحقّق الحدث خلال عمليّة التّخاطب، فالمظهر عند الأصوليين مقولة سياقيّة تتحقّق بأساليب مختلفة، نحو حروف العطف والأمر في مختلف أشكاله والنهي، إضافة إلى المقام الذي ورد فيه الخطاب.

ألا يعني كلّ هذا أن الدرس النحوي العربي وخاصة الدرس الأصولي هو درس تداولي سياقي بامتياز ظهر قبل ظهور التداوليّة؟

قائمة المصادروالمراجع باللغة العربيّة:

- الآمدي (سيف الدّين)، (دت)، الإحكام في أصول الأحكام، مصر، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، ميدان الأزهر.
- الأشموني(علي بن محمد)،(1293) الحاشية الموسومة بزواهر الكواكب لبواهر المواكب على شرح الأشموني لألفية بن مالك، مطبعة الدولة التونسيّة المحروسة، ط1.
- ابن الحاجب (1316 ه) مختصر المنتهى على حاشية التفتازاني، المطبعة الأميريّة ببولاق، مصر المحميّة ط1.
- ابن حزم الظاهري(أبوعلى)،(1987) الأحكام في أصول الأحكام، بيروت، لبنان دار الجيل، ط2.
- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل)، (1988)، الأصول في النحو ج1 تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة.
- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدّمشقي)،(دت) بدائع الفوائد، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
- بنمفتاح (رجاء)،(2016) الزمان والجهة والمظهر بين النحاة والأصوليين، مقاربة لسانيّة.دار نقوش عربية، تونس.
- بنمفتاح (رجاء)، (2017) صيغ الفعل ودلالاتها بين النحاة والأصوليين، دار نقوش عربية، تونس.
- ابن يعيش (موفّق الدّين)، (دت) شرح المفصّل، عالم الكتب، بيروت.
- جمال الدّين (مصطفى)،(1980) البحث النحوي عند الأصوليين، الجمهوري العراقية، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام.
- الشريف (محمد صلاح الدين)،(1999) تطابق اللفظ والمعنى، حوليّات الجامعة التونسيّة، العدد43 ص14.
- الشريف (محمد صلاح الدين)،(2008) أوقدسألتمونيها، حوليات الجامعة التونسية، العدد53 ، ص 331.
- الغزالي(أبو حامد)،1990، معيار العلم في المنطق، شرح أحمد شمس الدين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- الغزالي(أبو حامد)، 1322ه، المستصفى من علم الأصول، مصر، دار صادر، بيروت عن المطبعة الأميرية ببولاق.
- المبخوت(شكري)، 2006، إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، تونس، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة.
- المبخوت (شكري) ، 2008 ، نظريّة الأعمال اللغوية، زغوان، تونس.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

قائمة المصادروالمراجع باللغات الأجنبية:

- Comrie (bernard) ;1976,Aspect,cambridge textbooks in linguistics, cambridge university press, New York.
- Eluerd (Roland) ,1985, la pragmatique linguistique , editions Fermand Nathan.
- Moeshler (Jacque): Aspects pragmatiques de la reference temporelle: indetermination, ordre temporal et inference; department de linguistique, université de genève.
- Pustejovsky (james), 1991, the syntax of event structure, Elsevierscience publishers B.V.
- Rothstein (susan),2004, structuring Events, astudy in the sementics of lexical aspect, Blak well.
- Versteegh (C.H.M),1981, la conception des temps du verbe chez les grammairiens arabes; Etude arabe, analyses théorie, Département d'études arabes universitaires, paris.
- Wilmet(marc) : Aspect grammatical, Aspect sémantique , Aspect lexical : un problème de limites. La notion d'aspect,colloque organisé par le centre d'analyse syntaxique de l'université de Metz (18-20 mai 1978) ; pub Jean David et Robert Martin.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548